قانون البلاغة في نقد النثر والشعر لأَبي طاهر البغدادي المتوفى (٥١٧ هـ)

دراسة في المنهج والمضمون

م.د.أَحمد يحيى علي الدليمي*

تأريخ التقديم:١/٣/٢٠١٣ تأريخ القبول:٣/٤/٢٠١٣

التمهيد :

البغدادي وكتابه قانون البلاغة في نقد النثر والشعر

أولاً ــ التعريف بالبغدادي:

هو محمد بن حيدر بن عبد الله بن شعيبان البغدادي، وكان البغدادي شاعراً بليغاً مجيداً من شعراء العصر العباسي الوسيط، حسن الشعر رقيقه، وكان من مادحي سيف الدولة صدقة بن منصور، وقد انصرف لمديح أمراء الحلة المزيديين بسبب إعراض ولاة بغداد عنه وعدم حظوته عندهم، وكتاب البغدادي وكما يرى محققه هو كتاب ألفه البغدادي لأحد ممدوحيه المزيديين، ويبدو أن الشعر كان من أبرز صفاته وبه شهر وعرف وله فيه مقطعات حسان في المديح والغزل والحكمة والرثاء[١]، وهو شاعر متمكن غاية التمكن في مذاهب الشعر وتنويع أغراضه وصياغته في مختلف المقاصد على نحو رائع تجري فيه

* قسم اللغة العربية / كلية الآداب / جامعة الموصل .

(١) رجعنا في ترجمته إلى : الأعلام : خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣ ، ١٩٧٩م: ٦/ ٣٤٤، وينظر : تأريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة : عبد الحليم النجار ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦١م : ٩٤٢/١ ، وينظر : معجم المؤلفين : تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٥٧م : ٣٥/٥.

السلاسة والرشاقة والإبداع، وقد أمده الطبع والثقافة وامتلاك ناصية اللغة والبيان ، فزخر شعره بالفكر والأسلوب والفن والإيقاع[١] توفي البغدادي سنة (٥١٧) للهجرة .

ثانياً ــ كتاب قانون البلاغة في نقد النثر والشعر :

ألف البغدادي هذا الكتاب وجعله في جزأين ووزعه على نحو (١١٢) باباً ، ولابد من القول أن الاختلاف في عدد المصطلحات بين كتب النقد والبلاغة، إنما يعود لاختلاف المنهج والغاية من كل كتاب[٢] قد حاول أن يجمع ما كتب عن صناعة النثر وصناعة الشعر ومسائله البيانية والبديعية عند المصنفين من قبله، وعنوان الكتاب مرتبط بالمنهج والتقسيم الداخلي للكتاب ، فكلمة قانون وجمعها قوانين تعني الأصول، وهي كلمة فارسية تعني الكيل والوزن[٣]، فأراد البغدادي أن يضع الأصول والموازين البلاغية في نقد كل من النثر والشعر .

---

(١) ينظر: قانون البلاغة في نقد النثر والشعر: أبو طاهر محمد بن حيدر البغدادي ، تحقيق : محسن غياض عجيل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١م : ٧.

(٢) ينظر على سبيل المثال : البديع : عبد الله بن المعتز ، نشر وتعليق وإعداد : أغناطيوس كراتشوفسكي ، دار الحكمة ، دمشق ، (د.ت) ، نقد الشعر : أبو الفرج قدامة بن جعفر : تحقيق وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) ، عيار الشعر : محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق وشرح : عباس عبد الستار، ومراجعة : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢م .

كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري ، تحقيق : مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢،١٩٨٩ ، البديع في البديع في نقد الشعر : أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ : حققه وقدم له : عبدآ علي مهنا ، دار الباز ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م .

(٣) ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤، ١٩٨٧م ، مادة (قنن) .

لا يختلف كتاب قانون البلاغة في نقد النثر والشعر لمؤلفه أبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي كثيراً عن كتب البلاغة والنقد الأخرى التي سبقته أو عاصرته من مثل، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري (٣٩٥هـ)، في طريقة تأليفه وغايته، فقد ألف العسكري كتابه في صناعتي الكتابة والشعر، وقد افتتحه بمقدمة نوه فيها بمعرفة علم البلاغة ثم خاض بعد ذلك في أغراض الشعر والنثر وفي الكثير من المسائل التي تتصل بنقده ثم جاء البغدادي وكان شاعراً وناقداً أديباً صاحب نظرة ودراية متمكنة ، يعرف مواطن الجمال ومواطن القبح ، وكان مفطوراً على حب الأدب فيسمعه ويتذوقه وينقده، فاستقصى صور البيان والبديع التي سجلها النقاد وأصحاب البلاغة حتى عصره، وألف كتابه قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، ولم يرجح بين المنثور والمنظوم، وكانت تقسيماته للكتاب واضحة جداً، فقد فصل بين النثر والشعر، كما فصل بين مصطلحات كل منهما، وعني بالإكثار من الأمثلة فيه ، وقد جمع فيه كل محاسن الكلام في رأيه، كما عني في أحوال كثيرة بتحليل بعض الأبيات منها تحليلاً يدل على رهافة حسه وصفاء ذوقه ونقائه .

منهج البغدادي في تقديم المادة العلمية :

سنحاول أن ندرس منهج البغدادي ومادة كتابه من خلال المحاور الآتية :

موضوع الكتاب وأقسامه:

لقد خصص البغدادي كتابه لدراسة قواعد الإبداع وتنبه إلى أن الكتابة والشعر شيئان متنافران، وأنه يصعب الجمع بين الفنين بقدرة واحدة وبيان واحد، وكانت المادة النقدية التي انتخبها متنوعة ومن روافد عدة .

وعند استعراض فصول الكتاب ومقاصده نتبين أنه جاء في قسمين متميزين، درس في القسم الأول ما يتعلق بالكتابة وآدابها وأسبابها، فدرس بلاغة النثر ومذاهب الكتاب فيه، وما يصطنعون فيه من وسائل التأنق والزخرفة مما تشتمل عليه مباحث البلاغة من البيان والمعاني والبديع .

وقد ابتدأ حديثه بتعريف البلاغة وذكر شروط معينة يكون بها الكلام بليغـاً[١] ، ثم ذكر ما يصطنع فيه الكتاب من وسائل التأنق والزخرفة مما تـشتمل عليـه مباحث البلاغة من البيان والمعاني والبديع، ثم وقف عند عيوب تتـصل بألفـاظ ومعاني النثر من التكرار[٢]، وفساد المقابلات[٣] وفساد التقسيم[٤]، وفساد التفـسير [٥] والاستحالة[٦] والامتناع[٧] والتناقض[٨] واستعمال الوحشي المتروك[٩] وقبـيح الخطاب[١٠]، مع الإبانة عن فضل اللسان والبلاغة والكتابة[١١]، ثم وقـف عنـد قضية السرقات وحدودها[١٢]، وعيوب المنطق وما يعتري بعض الناس من العجز عن نطق بعض الحروف العربية [١٣] .

ثم درس في القسم الثاني منه نقد الشعر وبلاغته، وقد بدأه بالحـديث عمـا يلتمسه الشعراء في أشعارهم من فنون البديع، فعد منها أربعة وأربعـين محـسناً بديعياً، كما تحدث عن صناعة الشعر وما يستحب فيه مـن براعـة الاسـتهلال

(١) ينظر : قانون البلاغة في نقد النثر والشعر :١٦
(٢) ينظر : قانون البلاغة : ٣٤.
(٣) ينظر : قانون البلاغة : ٤٢.
(٤) ينظر : قانون البلاغة : ٤١.
(٥) ينظر : قانون البلاغة : ٤٣.
(٦) ينظر : قانون البلاغة : ٣٨.
(٧) ينظر : قانون البلاغة : ٣٩.
(٨) ينظر : قانون البلاغة : ٣٩.
(٩) ينظر : قانون البلاغة : ٥٣.
(١٠) ينظر : قانون البلاغة : ٥٣.
(١١) ينظر : قانون البلاغة : ٧٤، ٧٥.
(١٢) ينظر : قانون البلاغة : ٧١-٧٣ .
(١٣) ينظر : قانون البلاغة : ٧٧، ٧٨.

وحسن التخلص ومشاكلة الألفاظ للمعاني ودواعي الشعر واختلاف الشعراء في قوة الطبع ودقة الصنعة والمختار من الشعر ومذاهب العلماء في اختياره ونقده، ثم ذكر النقد وشروطه وما ينبغي أن يتوفر من مؤهلات لأصحابه والقائمين عليه واختتم البغدادي هذا القسم من كتابه في الحديث عن صناعة الشعر، فهو يحاول أن يضع للشعر قواعد، ويسن للشاعر القوانين، كما يضع حدوداً للشعر ومقاييس يدل منها على جيده من رديئه .

وقد فعل المؤلف فيه ما فعله علماء النقد قبله من تأسيس دراساتهم النقدية على أسس بلاغية .

طريقته في الاقتصاد والاقتضاب :

كان منهج البغدادي في كتابه متلائماً مع سبب تأليفه، إذ قام الكتاب على الاختصار وعدم الإطناب في المسائل، وقد اعتمد طريقة تمثلت في اقتصاده واقتضابه في الكلام الذي يسبق الأشعار المختارة، وقد قال البغدادي عنه: انه بلغ بقلة لفظه وعدم الإطالة فيه إلى ما يريده في بيان صناعة النثر والشعر وقواعدها وأسسها وقواعدها[١]، كما قال البغدادي في خاتمة كتابه: " وهذه الرسالة تقتضي الإقناع، ولا تحتمل الإشباع ، وإنما نبذت إليك نبذاً وعرضت عليك لمعاً "[٢]، وكذلك نلحظ أن البغدادي يحيل القارئ المبتغي للزيادة إلى مصنفاته الأخرى، وقد أشار ثلاث مرات في القسم الأول من كتابه إلى كتاب له في الشعر، ذكره أول مرة في حديثه عن نعوت الألفاظ في موضوع المتجانس، فقال: فمثل هذا الكلام الموزون، بإزاء هذا المنثور كثير ويسمى المتجانس، وقد شرحت حاله في

(١) ينظر : قانون البلاغة : ١٥.

(٢) ينظر : قانون البلاغة : ١٥٥.

كتاب الشعر[١] وذكره مرة ثانية عند إشارته لحديث أم زرع، فقال: وقد ذكرنا منه صدراً في كتاب تقدير

الشعر[٢]، وذكره مرة ثالثة في حديثه عن التمثيل في النثر، فقال: وقد ذكرنا وجه استعماله في الشعر في الكتاب الذي أفردناه في البلاغة الشعرية [٣] .

وهكذا تدلنا القراءة في الكتاب على أن منهجه في الكتاب مبني على التركيز والإيجاز والقصد والاعتدال، إذ تندر فيه الروايات وسرد الأقوال .

طريقته في دراسة المصطلحات :

١. في نقد النثر :

كان منهج البغدادي في عرض المصطلح يقوم على أشكال مختلفة ولا يسير على وتيرة واحدة ، فهو يورد في بعض الأحيان تعريفات كثيرة لعدد من المصطلحات في غاية الإبداع، فعلى سبيل المثال نراه يقف كثيراً عند تعريف مصطلح البلاغة، لأنه يهدف إلى توظيفه، وهو يكثر من إيراد الشواهد والنقولات التي تؤيد التشكيل البلاغي الذي عرضه في كتابه، فيقول في تعريف البلاغة : والبلاغة ليست ألفاظاً فقط ولا معاني فحسب، بل هي ألفاظ يعبر بها عن معان ، ولكن ليس كما اتفق، ولا كيفما وقع [٤]، ثم يستطرد فيقول : على أنه ذهب قوم إلى تكثر الألفاظ المرصوفة في بعض المواضع داخل في البلاغة [٥]، ثم يقول : ولهذا السبب قال بعضهم في وصف كاتب بليغ : إن أخذ شبراً كفاه، وان تناول

(١) ينظر: قانون البلاغة : ٣١.

(٢) ينظر: قانون البلاغة : ٤٨.

(٣) ينظر: قانون البلاغة : ٥٠.

(٤) ينظر: قانون البلاغة : ٢٣.

(٥) ينظر: قانون البلاغة : ٢٤ .

طوماراً أملاه[١] وهذا النص في كتاب البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ [٢]، وهذا يدل على إن البليغ يحتاج في موضع إلى الإطالة والإسهاب ، كما يحتاج في موضع آخر إلى الاختصار والإيجاز[٣]، ثم يقول : إلا إن أكثر ما هو عليه الناس في البلاغة أنها الاختصار وتقريب المعنى بالألفاظ القصار[٤]، ثم يختتم حديثه في البلاغة بقوله : حتى إذا سئل بعض الناس عن البلاغة، فقال: هي لمحة دالة [٥]، ثم يؤيد هذا الرأي بقوله: وهذا هو مذهب العرب وعادتهم في العبارة فأنهم يشيرون إلى المعاني بأوحى إشارة، ويستحبون أن تكون الألفاظ أقل من المعاني في المقدار والكثرة [٦] .

ويمكن ملاحظة مدى تأثر البغدادي في طريقة عرضه لمصطلح البلاغة بمن سبقه من النقاد، ولاسيما المبرد (٢٨٥هـ)[٧]، وقد تنوعت طريقة البغدادي في تناول مصطلحات النثر على شكل أنواع ثلاثة، ولا نزعم أن البغدادي هو أول من قال بهذا، فهو قطعاً مسبوق به، ولكن تبنيه لهذا الحد وبهذه الصيغة يجعله من موافقاته ومن وسائله في الكشف عن دلالة المصطلح [٨]، وقد التزم في النوع الأول بذكر المصطلح، ومن ثم تعريفه والتمثيل له بالشواهد المختلفة، وبلغ

---

(١) ينظر : قانون البلاغة : ٢٤ .

(٢) ينظر: البديع في نقد الشعر : ٢٩٧.

(٣) ينظر: قانون البلاغة : ٢٤.

(٤) ينظر: قانون البلاغة : ٢٤.

(٥) ينظر: قانون البلاغة : ٢٤ .

(٦) ينظر: قانون البلاغة : ٢٤.

(٧) ينظر: البلاغة ، أبو العباس المبرد ، تحقيق : رمضان عبدالتواب ، دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٦٥م : ٥٩.

(٨) ينظر : على سبيل المثال: المصطلح النقدي عند أسامة بن منقذ في كتاب البديع في نقد الشعر ، أحمد يحيى علي رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل ، بإشراف الدكتور عبد الله المولى ، ٢٠٠١م .

عدد المصطلحات ثمانية عشرة مصطلحات، وكانت على الترتيب، مصطلح التبديل[١]، واللحن[٢] والتجميع[٣] والتكرير[٤] وصحة التقسيم[٥] وصحة المقابلات[٦] وصحة التفسير[٧] والتتميم[٨] والمبالغة [٩]والتكافؤ[١٠] ووجوه تقابل المعاني[١١] وفساد المقابلات[١٢] ومذاهب البلاغة[١٣] والإرداف[١٤] والتمثيل [١٥]والإخلال [١٦]والخطاب القبيح [١٧]والسرقات [١٨]، ولم يلتزم في هذا النوع أيضاً بمنهج واحد ، فنجد اختلافاً وتفاوتاً في مقدار الشرح والتوضيح في مصطلحات هذا القسم، فعلى حين يستشهد بشاهد واحد لكل من مصطلح اللحن[١]

(١) ينظر : قانون البلاغة : ٣٢ .
(٢) ينظر : قانون البلاغة : ٣٣ .
(٣) ينظر : قانون البلاغة : ٣٣ .
(٤) ينظر : قانون البلاغة : ٣٤ .
(٥) ينظر : قانون البلاغة : ٣٥ .
(٦) ينظر : قانون البلاغة : ٣٥ .
(٧) ينظر : قانون البلاغة : ٣٦ .
(٨) ينظر : قانون البلاغة : ٣٧ .
(٩) ينظر : قانون البلاغة : ٣٧ .
(١٠) ينظر : قانون البلاغة : ٣٨ .
(١١) ينظر : قانون البلاغة : ٣٩ .
(١٢) ينظر : قانون البلاغة : ٤٢ .
(١٣) ينظر : قانون البلاغة : ٤٤ .
(١٤) ينظر : قانون البلاغة : ٤٧ .
(١٥) ينظر : قانون البلاغة : ٤٩ .
(١٦) ينظر : قانون البلاغة : ٥٠ .
(١٧) ينظر : قانون البلاغة : ٥٣ .
(١٨) ينظر : قانون البلاغة : ٧١ .

اللحن[١] والتجميع [٢] والتكرير[٣] والتتميم[٤] والمبالغة[٥] والإخلال[٦] والخطاب القبيح[٧]، فهو لم يضف توضيحاً لهذه الشواهد، بل يكتفي بسردها، نجده يطيل في الاستشهاد لمصطلحات أخرى، فيصل عدد الشواهد إلى أربعة، كما في مصطلح التبديل[٨] والإرداف[٩] والمحاورات المستحسنة [١٠] والسرقات [١١]، ونجده يطيل في شرح الشواهد في مصطلح صحة المقابلات[١٢] والإرداف [١٣]ووجوه تقابل المعاني[١٤] والتمثيل[١٥] والإخلال بالفائدة [١٦]، في حين يعلق تعليقاً قصيراً على شواهد أخرى كما في مصطلح المبالغة[١٧] ومصطلح التكافؤ[١٨] .

---

(١) ينظر : قانون البلاغة : ٣٣.
(٢) ينظر : قانون البلاغة : ٣٣.
(٣) ينظر : قانون البلاغة : ٣٤.
(٤) ينظر : قانون البلاغة : ٣٧.
(٥) ينظر : قانون البلاغة : ٣٧.
(٦) ينظر : قانون البلاغة : ٤٢.
(٧) ينظر : قانون البلاغة : ٥٣.
(٨) ينظر : قانون البلاغة : ٣٢.
(٩) ينظر : قانون البلاغة : ٤٧.
(١٠) ينظر : قانون البلاغة : ٥٢.
(١١) ينظر : قانون البلاغة : ٧١.
(١٢) ينظر : قانون البلاغة : ٣٥.
(١٣) ينظر : قانون البلاغة : ٤٧.
(١٤) ينظر : قانون البلاغة : ٣٩.
(١٥) ينظر : قانون البلاغة : ٤٩.
(١٦) ينظر : قانون البلاغة : ٥١.
(١٧) ينظر : قانون البلاغة : ٣٧.
(١٨) ينظر : قانون البلاغة : ٣٨.

وقد قام البغدادي بتعريف مصطلحات أخرى من غير التمثيل لها، وبلغ عدد تلك المصطلحات عشرة، وهي مصطلح: الإطالة من غير ضرورة [١]والوحشي المتروك[٢] وقوانين المعاني[٣] وعيوب المعاني[٤] والمستحيل[٥] والامتناع[٦] والتناقض[٧] وفساد التقسيم [٨]والهذر والتبعيد[٩] والدلالات على المعاني[١٠]، وقد اختلف منهج البغدادي أيضاً في تعريف هذه المصطلحات ، فهو إما أن يعرف المصطلح تعريفاً قصيراً، وكان ذلك في مصطلحات الإطالة من غير ضرورة[١١] والوحشي المتروك [١٢]والتناقض[١٣]وفساد التقسيم [١٤]والهذر والتبعيد[١٥]، أو يقوم بتفسير التعريف وتوضيحه في مصطلحات أخرى من مثل مصطلح قوانين

(١) ينظر : قانون البلاغة : ٣٤.
(٢) ينظر : قانون البلاغة : ٣٤.
(٣) ينظر : قانون البلاغة : ٣٥.
(٤) ينظر : قانون البلاغة : ٣٨.
(٥) ينظر : قانون البلاغة : ٣٨.
(٦) ينظر : قانون البلاغة : ٣٩.
(٧) ينظر : قانون البلاغة : ٣٩.
(٨) ينظر : قانون البلاغة : ٤١.
(٩) ينظر : قانون البلاغة : ٥٢.
(١٠) ينظر : قانون البلاغة : ٦١.
(١١) ينظر : قانون البلاغة : ٣٤.
(١٢) ينظر : قانون البلاغة : ٣٤.
(١٣) ينظر : قانون البلاغة : ٣٩.
(١٤) ينظر : قانون البلاغة : ٤١.
(١٥) ينظر : قانون البلاغة : ٥٢.

المعاني[١] والدلالات على المعاني [٢]، فهو يطيل في تفسير مفاهيم هذه المصطلحات ويوضحها للقارئ ليزيل اللبس عنه .

أما في النوع الثالث فقد اكتفى البغدادي بذكر أمثلة متنوعة للمصطلح وشروط يوجبها على من يعمل به، دون أن يضع له مفهوماً محدداً، وبلغ عدد تلك المصطلحات خمسة مصطلحات وهي مصطلح الاستعارة [٣]والتكرير[٤] وتداخل الأقسام[٥] والإخلال [٦]وفساد التفسير[٧]، وقد تفاوت عدد شواهده في هذه المصطلحات أيضاً ، فهو يذكر للاستعارة [٨]خمسة شواهد دون أن يعلق عليها، ويذكر لمصطلح التكرير[٩] أربعة شواهد دون أن يعلق عليها أيضاً، في حين يذكر لمصطلح تداخل الأقسام [١٠]مثالين ومن ثم يقوم بشرحهما، ويطيل في شرح المثال الوحيد لمصطلح الإخلال[١١]، ويكون معتدلاً في توضيحه لمثاله، أو شاهده على مصطلح فساد التفسير[١٢].

---

(١) ينظر : قانون البلاغة : ٣٥.
(٢) ينظر : قانون البلاغة : ٦١.
(٣) ينظر : قانون البلاغة : ٣٢.
(٤) ينظر : قانون البلاغة : ٣٤.
(٥) ينظر : قانون البلاغة : ٤١.
(٦) ينظر : قانون البلاغة : ٤٢.
(٧) ينظر : قانون البلاغة : ٤٣.
(٨) ينظر : قانون البلاغة : ٣٢.
(٩) ينظر : قانون البلاغة : ٣٤.
(١٠) ينظر : قانون البلاغة : ٤١.
(١١) ينظر : قانون البلاغة : ٤٢.
(١٢) ينظر : قانون البلاغة : ٤٣.

٢. في نقد الشعر :

من القضايا التي بدأ البغدادي بمناقشتها وتحديد موقفه منها في القسم الثاني من كتابه قانون البلاغة في نقد النثر والشعر ، قضية بلاغة الشعر، وقد بدأ الحديث عن الشعر والبديع، ونقل لنا رأي الأردستاني في صناعة الشعر، فقال :" قال الأردستاني: وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعر لشرف المعنى وجزالة اللفظ وصحة المبنى فتسلم السبق لمن وصف فأصاب وألطف وشبه فسدد، ولمن كثرت له سوائر الأمثال وشوارد الأبيات"(١)، ويدل ذلك على افتخارهم في أشعارهم بالتجويد، ثم ينقل لنا افتخار الشعراء بتجويد أشعارهم، ويعلق في نهاية ذلك ، فيقول: فلما أفضى الشعر إلى المحدثين ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف، تكلفوا الاحتذاء عليها وسموها البديع فمن محسن ومسيء ومفرط ومقتد .

فقد عزى البغدادي الشرح والتعليق إلى صاحبه، وعمد إلى مصدر المعلومة النقدية التي أخذها بتقديم ذكر مصدرها ، فقال: (قال الأردستاني) قبل الحديث عنها وتقديمها، ثم قام البغدادي بتقسيم هذا الباب على شكل مصطلحات ، وكما فعل في الجزء الأول من كتابه في نقد النثر وبلاغته، ولم تختلف تسميات البغدادي للمصطلحات عما كان معروفاً ومتداولاً من قبل النقاد والبلاغيين السابقين له، ومعاصريه، فوافق ابن المعتز في مصطلح الكناية وقرنه بمصطلح التعريض، وتجدر الإشارة إلى أن ابن المعتز لم يفصل بين المصطلحين وعدهما من محاسن الكلام والشعر ولم يفصل بينهما (٢)، في حين فصل الزمخشري (ت٥٣٨هـ) بين الكناية والتعريض، وعد الكناية استعمال اللفظ في غير ما وضع له، والتعريض استعماله فيما وضع له ، مع الإشارة إلى ما لم يوضع له

(١) قانون البلاغة : ٨١ .

(٢) ينظر : البديع : ٦٤.

في السياق [١]، كما وقرن البغدادي مصطلح الاستدراك مع مصطلح الرجوع وعدهما مصطلحاً واحداً[٢]، في حين قرن أسامة بن منقذ مصطلح الرجوع بالاستثناء[٣]، كما عد البغدادي مصطلح العكس والتبديل مصطلحاً واحداً [٤]، وكانت بقية المصطلحات متوافقة مع ما ذكره سابقيه ومعاصريه .

وقد تنوعت طريقة البغدادي في تناول مصطلحات الشعر أيضاً، فهو يذكر في النوع الأول المصطلح ، ويعرفه ويمثل له، كما في مصطلحات الطباق [٥]، والتجنيس [٦] والاستعارة[٧] والمقابلة [٨]، والإرداف [٩]، والموازنة [١٠]، والمساواة [١١]، والإشارة [١٢]، والمبالغة [١٣]، والإيغال [١٤]، والتسهيم [١٥]، ورد

(١) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية : محمد حسين أبو موسى، دار الفكر العربي ، (د.ت) :٥٧٦.
(٢) ينظر : قانون البلاغة : ١١١.
(٣) ينظر : البديع في نقد الشعر : ٧٠.
(٤) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٩.
(٥) ينظر : قانون البلاغة : ٨٤.
(٦) ينظر : قانون البلاغة : ٨٦.
(٧) ينظر : قانون البلاغة : ٩٠.
(٨) ينظر : قانون البلاغة : ٩٢.
(٩) ينظر : قانون البلاغة : ٩٣.
(١٠) ينظر : قانون البلاغة : ٩٤.
(١١) ينظر : قانون البلاغة : ٩٤.
(١٢) ينظر : قانون البلاغة : ٩٥.
(١٣) ينظر : قانون البلاغة : ٩٦.
(١٤) ينظر : قانون البلاغة : ٩٩.
(١٥) ينظر : قانون البلاغة : ١٠١.

العجز على الصدر[١]، وصحة التقسيم[٢]، والمماثلة [٣]، والتكميل [٤]، والترصيع[٥]، والتكافؤ[٦]، والسلب والإيجاب[٧] ، والعكس والتبديل [٨]، والالتفات [٩]،والاستدراك والرجوع [١٠]، والتذييل [١١] والاستطراد [١٢]، وبراعة الاستهلال [١٣]، وبراعة التخلص [١٤]، والترديد [١٥]، والتتميم [١٦] ، وبلغ عدد المصطلحات سبعة وعشرون مصطلحاً، وقام البغدادي في النوع الثاني بذكر المصطلح والتمثيل له فقط دون تعريفه ، أي دون ذكر أي مفهوم للمصطلح ، كما في مصطلح الغلو[١٧]، والكناية والتعريض[١٨]

(١) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٢.
(٢) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٤.
(٣) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٥.
(٤) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٦.
(٥) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٧.
(٦) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٨.
(٧) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٨.
(٨) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٩.
(٩) ينظر : قانون البلاغة : ١١٠.
(١٠) ينظر : قانون البلاغة : ١١١.
(١١) ينظر : قانون البلاغة : ١١٢.
(١٢) ينظر : قانون البلاغة : ١١٣.
(١٣) ينظر : قانون البلاغة : ١١٦.
(١٤) ينظر : قانون البلاغة : ١٢٠.
(١٥) ينظر : قانون البلاغة : ١٢١.
(١٦) ينظر : قانون البلاغة : ١٢٢.
(١٧) ينظر : قانون البلاغة :٩٧ .
(١٨) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٩.

، والتكرار[١] والاستثناء[٢]والتصحيف[٣]، وجمع المؤتلفة والمختلفة[٤] ، والتبيين[٥]، والمذهب الكلامي[٦]، وبلغ عدد تلك المصطلحات ثمانية مصطلحات

الشواهد الشعرية :

لعل من أهم سمات منهج البغدادي في كتابه المرونة الفكرية التي تعني انفتاحاً وقبولاً للرأي الآخر المختلف، وهذه ليست سمة خاصة به، وإنما هي جزء من ملامح عصره .

ولقد استلزم عمله وهو يتصدى لنقد الشعر أن يعضد دراسته بالشواهد الشعرية التي تعزز كلامه وتكشف عن مقصده، وقد احتج البغدادي بهذه الشواهد لدعم آرائه وتوجيهاته النقدية، ولم يفصل البغدادي بين القديم والمحدث، والجاهلي والمخضرم، والأعرابي والمولد كما نجده نحن في كتابه[٧] .

وقد قام البغدادي بمعالجة وتوضيح الشواهد الشعرية التي أوردها في كتابه، ويكفي أن نقلب بعض صفحات الكتاب للتأكد من صحة ذلك، فيقول على

(١) ينظر : قانون البلاغة :١١٥ .
(٢) ينظر : قانون البلاغة : ١١٥.
(٣) ينظر : قانون البلاغة : ١١٦.
(٤) ينظر : قانون البلاغة : ١٢٣.
(٥) ينظر : قانون البلاغة : ١٢٤.
(٦) ينظر : قانون البلاغة : ١٢٤.
(٧) ينظر : قانون البلاغة : ١٤٩.

سبيل المثال في مصطلح الطباق وبعد تعريف المصطلح :" ومن أغرب ألفاظه وألطف ما وجد فيه" [١] قول أبي تمام الطائي[٢] :

مَها الوحش إلا أن هَاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذَوَابل

ويعلق البغدادي على ذلك بقوله:" فطابق بين (هاتا وتلك)، وأحدهما للحاضر والآخر للغائب، واللفظتين نقيضين في المعنى، وبمنزلة الضدين، ثم يستطرد البغدادي فيقول: وسبيل الشاعر أن يتبع فيه التقابل، وأن لا يجيء اسم مع فعل، ولا بفعل مع أسم، فان ذلك أذهب في الصنعة، وأسلم في البنية" [٣]، ويعلق على مصطلح التجنيس أيضا بقوله :"ويسمونه المطابق، وهو أشهر أوصافه وأكبر أصنافه" [٤]، كما ويعلق أيضا على مصطلح الجناس بقوله : "والتجنيس يزيد في رونق الشعر ويحلي عاطل معانيه، وهو عنوان الفصاحة وشاهد الاتساع في اللغة ودليل على توقد الذكاء وجودة الذهن ومسابقة الخاطر" [٥]، وقد عد البغدادي للتجنيس أنواعاً منها: التجنيس المستوفى[٦]، والتجنيس الناقص[٧]، والتجنيس المضاف[٨]، وعلق البغدادي على مصطلح الاستعارة بقوله

(١) قانون البلاغة : ٨٦.

(٢) ينظر : ديوان أبي تمام : شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد عبده عزام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ١٩٧٦م :٧٧.

(٣) ينظر : قانون البلاغة : ٨٦.

(٤) قانون البلاغة : ٨٧.

(٥) قانون البلاغة : ٩٠.

(٦) ينظر: قانون البلاغة : ٨٨.

(٧) ينظر: قانون البلاغة : ٨٨.

(٨) ينظر: قانون البلاغة : ٨٩.

: "واستعارات الشعراء جمة ومحاسنهم فيها كثيرة، ومذاهب المحدثين فيها خاصة طريفة" [١]، ثم ذكر بيت جرير في الاستعارة :

تجيء الروامس ربعها فتجده بعد البلى وتميته الأمطار

وعلق عليه بقوله : وهذا البيت يجمع لطف الاستعارة وشرف الطباق؛ لأنه جاء فيه بالأحياء والإماتة والجدة والبلى[٢]، ويعلق أيضاً على بيت أبي حية في الاستعارة بقوله :

ويستحسن من الأشعار قول أبي حية[٣] .

كما ونجد للبغدادي رأياً مخالفا لمن سبقه في مصطلح المقابلة ، فبعد أن يعرف المصطلح ويمثل له بقول كثير [٤] :

أيا عجباً كيف اتفقنا فناصح وَفي مطوي على الغل غَادر

يقول: فجعل بإزاء ناصح مطويا على الغل، وبإزاء وفي غادر، ثم يستطرد فيقول : وقد ذهب بعض الناس إلى أن هذا طباق، وليس هذا كما ذهب إليه وإن كان مناسباً له [٥]، ويرى البغدادي أيضاً أن مصطلح الإرداف يتوافق مع مصطلح التتبيع، فيقول في نهاية شرحه لأمثلة المصطلح : وقد يسمى التتبيع أيضاً [٦]، ويختتم مصطلح الترديد بقوله: وقد يسمى التعطف أيضاً [٧]، ومصطلح رد الكلام على صدره بقوله: ويسمى أيضاً رد العجز على صدره [٨]، ومصطلح

---

(١) ينظر: قانون البلاغة : ٩٠.

(٢) ينظر: قانون البلاغة: ٩١.

(٣) ينظر : قانون البلاغة :٩٠.

(٤) ينظر : ديوان كثير : ٤٤.

(٥) ينظر : قانون البلاغة : ٩٢ .

(٦) ينظر : قانون البلاغة : ٩٣ .

(٧) ينظر : قانون البلاغة : ١٢٢ .

(٨) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٣ .

التسهيم بقوله: وقد يسمى التوشيح أيضاً[١]، ويعلق على مصطلح التكافؤ كذلك بقوله: وأما التكافؤ فهو قريب من الطباق[٢]، ويبدو أن البغدادي كان مدركاً لمسألة تعدد تسميات المصطلح .

وقد يعلق البغدادي بصورة موجزة على بعض شواهده الشعرية، فيقول في شرح بيت الرواس بن تميم في مصطلح المبالغة :

وإنا لنعطي النصف منا وإننا لنأخذه من كل أبلخ ظالم

" فالتوكيد في قوله وإننا لنأخذه ، ثم قال: من كل أبلخ ظالم، وهذه مبالغات مضاعفة مكررة " [٣] أو يفصل في شرح الشاهد الشعري في منهج علمي كما في مصطلح الإيغال، فبعد تعريف المصطلح ، يمثل له بقول أمريء القيس [٤] :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

ويعلق البغدادي فيقول: "فقد أتى على التشبيه قبل القافية، وذلك أن عيون الوحش إذا ماتت أشبهت الجزع ثم لما جاء بالقافية بلغ بالمعنى الأمد البعيد في التوكيد، لأن تشبيه عيون الوحش بالجزع الذي لم يثقب أدخل في التشبيه، وإذا لم يثقب كان أحسن في صفائه وأشد في ترقرق مائه" [٥]، ومن تعليقاته الأخرى قوله في مصطلح الالتفات استطراداً على قول الشاعر عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي :

فاني إن افتك يفتك مني فلا تسبق به علق نفيس

---

(١) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٢ .

(٢) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٧ .

(٣) قانون البلاغة : ٩٧ .

(٤) ينظر : ديوان امرئ القيس : تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٧٧م : ٤٧ .

(٥) قانون البلاغة : ٩٩ .

قوله (فلا تسبق به) اعتراض في هذا الموضع، ويستطرد فيقول: " قوى المعنى الذي أراده وزاده نصاعة" [١] وهكذا يقوم البغدادي بسرد النص والتعليق عليه برأيه ، وقد بدا لنا أنه ذا شخصية نقدية متميزة، كما تنوعت طريقته في نسبة الشواهد الشعرية إلى أصحابها ، فكانت الشواهد الشعرية التي لم يذكر قائلها ولم ينسبها إلى أصحابها، أبياتاً قليلة، ولو نظرنا إلى ما أورده من أبيات دون ذكر قائليها لوجدناه يروي أبياتاً من قصيدة واحدة لشاعر واحد، فيذكر الشاعر في مواضع متعددة، ولكنه لا يذكره في موضع آخر، ومن ذلك ما أورده في مصطلح التسهيم، فبعد أن يذكر المصطلح ويقوم بتعريفه، يمثل له بقول البحتري[٢] :

فإذا حاربوا أذلوا عزيزاً وإذا سالموا أعزوا ذليلاً

ثم يستطرد فيقول : وكقوله :

أحلت دمي من غير جرم وحرمت بلا سبب يوم اللقاء كلامي

فلم يذكر البغدادي أسم الشاعر (البحتري) في المرة الثانية أو يورد البغدادي الشواهد الشعرية دون ذكر قائلها، كما في مصطلح رد العجز على الصدر[٣]، فبعد تعريفه للمصطلح يمثل له بقوله: وكقوله [٤] :

وإن لم يكن إلا تعلل ساعة قليلاً فاني نافع لي قليلها

ثم يستطرد فيقول: وقول الآخر[٥] :

سقى الرمل جون مستهل غمامة وما ذاك إلا حب من حل بالرمل

---

(١) قانون البلاغة : ١١١ .

(٢) ينظر: قانون البلاغة : ١٠١ ، وينظر : ديوان البحتري ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٧م : ١٧٦٩/٣ .

(٣) ينظر: قانون البلاغة : ١٤٩.

(٤) ينظر: قانون البلاغة : ١٠٣.

(٥) ينظر: قانون البلاغة : ١٠٣.

ثم مثل للمصطلح بقوله: وقول الآخر [١]:

وكنت سناماً في فزارة تامكاً وفي كل حي ذروة وسنا

والأبيات هي لذي الرمة[٢] ولجرير[٣]ولعامر بن الطفيل[٤]، على التوالي، والسبب في ذلك يعود إما لجهله بنسبة البيت إلى صاحبه، أو إلى شهرة البيت أو القصيدة فلا يذكر قائل البيت مع علمه به، وفي ذلك دليل على أنه يعرف قائل البيت، ولكنه لا يذكره، وقد لا يذكر البغدادي الأعلام، فيذكر كلامه على سبيل التعميم، فيقول: ودخل بعض البلغاء على بعض الأمراء[٥]، أو كقوله: وقال بليغ [٦].

وعلى الرغم من ذلك فلا نستطيع الجزم بالقول بأن البغدادي يعرف قائلي الأبيات جميعاً، وكما لا يمكن الجزم أيضاً بجهله بصاحب البيت حين لا يورد قائله .

وعندما يكون البغدادي غير متأكد من نسبة القول إلى صاحبه، يرجح بين أكثر من اسم، فيقول على سبيل المثال: " قال السفاح أو المنصور" [٧] .

---

(١) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٣.

(٢) ينظر: ديوان ذي الرمة (غيلان بن عقبة ألعدوي) ، برواية الإمام أبي العباس ثعلب ، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٢م : ٥٥ .

(٣) ينظر : شرح ديوان جرير : محمد بن إسماعيل عبد الله الصاوي ، مكتبة محمد حسين النوري ، دمشق . (د.ت) : ٤٦٠ .

(٤) ينظر : ديوان الطفيل الغنوي ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد ، دار الكتاب الجديد ، د.ت : ١٢٦ .

(٥) ينظر : قانون البلاغة : ٤٧.

(٦) ينظر : قانون البلاغة : ٦٠.

(٧) قانون البلاغة : ٥٢.

ويبدو لي أن عناية المؤلف بالنصوص الشعرية ذات المستوى الفني الرائع جعلته يغفل أحياناً الشعراء، فلم يعن بهم كثيراً، وهذه سمة من سمات منهجه .

وقد اتخذ توظيفه لشاهده الشعري أشكالاً شتى وذلك حسب ما يقتضيه منهجه وحسب حاجته منه، فقد يذكر البيت الذي هو موطن الشاهد كاملاً، كما في مصطلح الطباق [١]، والمقابلة [٢]، والإرداف [٣]، والمساواة [٤]، والإشارة [٥]، والمبالغة[٦]، والغلو[٧]، والإيغال[٨]، والتسهيم [٩]، ورد العجز على الصدر[١٠]، وصحة التقسيم [١١]، والمماثلة [١٢]، والتكميل [١٣]، والترصيع[١٤]، والتكافؤ[١٥]، والسلب والإيجاب[١٦]، والكناية والتعريض[١٧] والعكس والتبديل[١٨]

(١) ينظر : قانون البلاغة : ٨٤.
(٢) ينظر : قانون البلاغة : ٩٢.
(٣) ينظر : قانون البلاغة : ٩٦.
(٤) ينظر : قانون البلاغة : ٩٨.
(٥) ينظر : قانون البلاغة : ٩٢.
(٦) ينظر : قانون البلاغة : ٩٦ .
(٧) ينظر : قانون البلاغة : ٩٧ .
(٨) ينظر : قانون البلاغة : ٩٩ .
(٩) ينظر : قانون البلاغة : ١٠١ .
(١٠) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٢ .
(١١) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٣ .
(١٢) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٥ .
(١٣) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٥ .
(١٤) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٧ .
(١٥) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٧.
(١٦) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٨ .
(١٧) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٩.
(١٨) ينظر : قانون البلاغة : ١٠٩.

، والالتفات[١]، والاستدراك والرجوع[٢]، والتذييل[٣]، والاستطراد[٤]، والتكرار[٥]، والاستثناء[٦]، والتصحيف[٧]، وبراعة التخلص[٨]، والترديد[٩]، والتتميم[١٠]، وجمع المؤتلفة والمختلفة [١١]، والتبيين [١٢] ، والمذهب الكلامي[١٣]، والتفويف [١٤]، والتفريع[١٥] ، والتسميط [١٦]، والتضمين[١٧]، والقسم[١٨] والإعنات[١٩]

(١) ينظر : قانون البلاغة : ١١٠.
(٢) ينظر : قانون البلاغة : ١١١.
(٣) ينظر : قانون البلاغة : ١١٢.
(٤) ينظر : قانون البلاغة : ١١٣ .
(٥) ينظر : قانون البلاغة : ١١٥ .
(٦) ينظر : قانون البلاغة : ١١٥ .
(٧) ينظر : قانون البلاغة : ١١٦ .
(٨) ينظر : قانون البلاغة : ١٢٠.
(٩) ينظر : قانون البلاغة : ١٢١.
(١٠) ينظر : قانون البلاغة : ١٢٢.
(١١) ينظر : قانون البلاغة : ١٢٣.
(١٢) ينظر : قانون البلاغة : ١٢٤ .
(١٣) ينظر : قانون البلاغة : ١٢٤ .
(١٤) ينظر : قانون البلاغة : ١٢٥ .
(١٥) ينظر : قانون البلاغة : ١٢٧ .
(١٦) ينظر : قانون البلاغة : ١٢٨ .
(١٧) ينظر : قانون البلاغة : ١٣٠ .
(١٨) ينظر : قانون البلاغة : ١٣٢ .
(١٩) ينظر : قانون البلاغة : ١٣٣ .

، وتجاهل العارف [١]، والهزل الذي يراد به الجد [٢]، والمثل السائر[٣]، والتشبيه[٤] .

وقد بلغ مجموع الأبيات الكاملة التي ذكرها في كتابه (١٩٦) بيتاً، وعند إحصاء الأبيات تبين أن قائليها لا ينتمون إلى عصر واحد، إذ أنهم مابين جاهلي ومخضرم، أو إسلامي أو أموي أو عباسي، أو غير ذلك .

وقد يكتفي البغدادي بالشطر من البيت، لأن الشاهد يرد في ذلك الشطر، ولأن البغدادي أراد أن يكثر من المادة ويقلل من الشواهد، كما في مصطلح التجنيس[٥]، حيث يستشهد بقول زهير بن أبي سلمى :

كأن عيني وقد سال السليل بهم، وهو صدر البيت الذي عجزه: وعبر ما هم لو أنهم[٦]، وكذلك في مصطلح الاستعارة[٧]، وبراعة الاستهلال[٨]، والتصريع [٩]، والمعنى الذي تلحقه زيادة مؤكدة[١٠]

وقد بلغ مجموع أنصاف الأبيات (١٦) شطراً توزعت في ثنايا استشهاداته الشعرية، وقد تبين لنا من مادة الكتاب أن استشهاد البغدادي بالاكتفاء بالشطر

---

(١) ينظر : قانون البلاغة : ١٣٤ .

(٢) ينظر : قانون البلاغة : ١٣٥ .

(٣) ينظر : قانون البلاغة : ١٣٦ .

(٤) ينظر : قانون البلاغة : ١٣٨ .

(٥) ينظر : قانون البلاغة : ٨٧ .

(٦) ينظر : شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعة : أبو العباس ثعلب ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤م : ١٤٨.

(٧) ينظر : قانون البلاغة : ٩٠ .

(٨) ينظر : قانون البلاغة : ١١٧ .

(٩) ينظر : قانون البلاغة : ١٢٩ .

(١٠) ينظر : قانون البلاغة : ١٤٢ .

الذي يحوي موضع الشاهد في الشعر قليل جداً بالنسبة إلى الاستشهاد بالبيت الشعري كاملاً، وبالقياس إلى ما ذكره من الشواهد الشعرية الكامل .

كما نستنتج أن الشاعر أمريء القيس قد حاز قصب السبق ضمن الشعراء الذين استشهد البغدادي من شعره، يليه الشاعر البحتري .

كما نجد البغدادي على العكس من ذلك كله في مصطلحات أخرى، فقد يذكر بيتين أو ثلاثة أبيات أو أكثر، ويرد الشاهد في شطر واحد من تلك الأبيات، ومن ذلك قوله في مصطلح التفريع كما قال الأعشى[١] :

وما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها سيل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

وكذلك في مصطلح التفويف[٢]، ومصطلح المذهب الكلامي[٣]، ومصطلح الترديد [٤]، ومصطلح التضمين[٥] .

وربما كان السبب في ذلك هو استحسان البغدادي لتلك الأبيات الشعرية، وحرصه على تتمة المعنى .

مصادر مادة البغدادي النقدية :

لا يذكر البغدادي (٥١٧هـ) في مقدمة كتابه المصادر التي استقى منها مادة كتابه صراحة، إلا قليلاً، ونلاحظ في أثناء عرضه لمفهوم البلاغة أنه يلجأ

(١) ينظر : قانون البلاغة : ١٢٧ ، وينظر : ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرحه وقدم له : مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م : ١٤٥.
(٢) ينظر : قانون البلاغة: ١٢٥ ، ١٢٦ .
(٣) ينظر : قانون البلاغة: ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٤) ينظر : قانون البلاغة: ١٢٢.
(٥) ينظر : قانون البلاغة: ١٣٠ .

إلى محاولة واضحة لتوثيق المعلومات، بذكر أصحاب الآراء المختلفة التي اعتمدها، فيقول على سبيل المثال في وصف البليغ وترتيب البلاغة: حكى الجاحظ [١]، وقال الجاحظ[٢] وقال علي بن أبي طالب[٣]، وحكى عمرو بن بحر[٤]، وقال بعض بلغاء الهند[٥]، وقال الأصمعي[٦] وذلك دون أن يذكر مؤلفاتهم .

ومما لاشك فيه أن البغدادي قد أفاد كثيراً ممن سبقه في هذا العلم، كالجاحظ (٢٥٥هـ) وابن المعتز (٢٩٦هـ) وابن طباطبا(٣٢٢هـ) والعسكري(٣٩٥هـ) وابن رشيق(٤٥٦هـ) وأسامة بن منقذ (٥٨٤هـ)، سواءً ما اتصل منها بالموضوعات أو التبويب أو الشواهد مما يدل على سعة اطلاعه على الموروث النقدي، وسأقوم بتناول أنموذجات اختارها البغدادي في كتابه مماثلة لما عند النقاد السابقين للبغدادي، يقول البغدادي في القسم الأول وفي المقدمة من كتابه في تعريف البلاغة: " سألت أطال الله مدتك وأدام نعمتك وحرس دولتك عن البلاغة، والبلاغة ليست ألفاظاً فقط ولا معاني فحسب ..... " [٧]، ويقول المبرد (٢٨٥هـ) حين بعث برسالة إلى أحمد بن الواثق ابن الخليفة العباسي يجيبه فيها عن سؤاله أي البلاغتين أفضل الشعر أم النثر، فيجيبه المبرد بتعريف البلاغة وذكر شرائط معينة يكون بها الكلام بليغاً، ويقول: " أطال الله بقاءك وأدام عزك سألت أعزك الله ــ عن البلاغتين في الشعر المرصوف

(١) ينظر : قانون البلاغة : ٥٥.
(٢) ينظر : قانون البلاغة :٥٥.
(٣) ينظر : قانون البلاغة :٥٧.
(٤) ينظر : قانون البلاغة :٦٤.
(٥) ينظر : قانون البلاغة :٦٥.
(٦) ينظر : قانون البلاغة :٦٦.
(٧) قانون البلاغة : ٢٣ .

والكلام المنثور ..... "[١]، ويقول البغدادي في موضع آخر من كتابه: سئل بعض الناس عن البلاغة، فقال: " هي لمحة دالة" [٢]، وهذا الكلام هو نفسه لابن رشيق القيرواني، ثم يذكر البغدادي بعض المصطلحات من مثل مصطلح السجع والازدواج، وينقل آراء النقاد فيه، ويتأثر بأبي هلال العسكري فيقرن السجع بالازدواج ويجعلهما مصطلحاً واحداً وينقل مثال العسكري لهذا المصطلح نفسه [٣]، ولم يأت بتعريف لهذا المصطلح بل اكتفى بنقل آراء النقاد فيه، فقال: " ورأيت قوماً يذهبون إلى كراهة السجع والازدواج في الكلام"[٤]، وفي ذلك دليل على إدراك البغدادي لمسألة قبول السجع، أو رفضه عند النقاد والعلماء، ثم يذكر رأيه فيه ويرى أن السبب في ذلك يعود إلى عدم مقدرتهم على هذا الفن البلاغي[٥]، ولم يكتف بالنقل عن العسكري بل يدلي برأي خطير في هذه المسألة ، فيقول: "فهذا القرآن الكريم وكلام الرسول (ﷺ) وهما مسجوعان"[٦]، ثم ينقل البغدادي عن الجاحظ قوله في عيوب الألفاظ (اللحن)، وينقل مثال الجاحظ نفسه ، فيقول: وفي وصية بشر بن المعتمر" إياكَ والتَوعر فانه يستهلك معانيك ويمنعك من مَراميك"[٧]، وذكر البغدادي في كتابه في وصف البليغ وترتيب البلاغة ونقل

(١) البلاغة : ٦٦ .

(٢) ينظر : قانون البلاغة: ١ ، وينظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت، ط٥ ، ١٩٨١م: ٢٤٢/١.

(٣) ينظر : قانون البلاغة ٣٠ : ، وينظر : كتاب الصناعتين : ٢٦٧.

(٤) ينظر : قانون البلاغة ٣٠.

(٥) ينظر : قانون البلاغة: ٣٠.

(٦) قانون البلاغة : ٣٠ .

(٧)

عن الجاحظ أقواله في ذلك ، فقال: حكى الجاحظ عن بعض حكماء الهند[١]، ثم نقل قول الجاحظ في شروط البليغ، فقال: وقال الجاحظ" ومن شروط البليغ أن يكون ذاكراً لما عقد عليه أول كلامه ، ويكون تصفحه لمصادره في وزن تصفحه لموارده"[٢]، ونقل تعريفات الصوت والفكر والبيان والمعاني كما هي عند الجاحظ [٣]، كما وينقل البغدادي عن ابن سنان الخفاجي تعريفه ومثاله لمصطلح صحة التقسيم ، فيقول: وهو أن يؤتى بالأقسام مستوفاة لم يخل بشيء منها ومتخلصة لم يدخل بعضها في بعض، ثم ينقل مثال الخفاجي نفسه، فيقول : كقول من قال:"لم تخل فيما بدأتني به من مجد أثلته أو شكر تعجلته أو أجر ادخرته أو متجر اتجرته"[٤] ونقل عن أسامة بن منقذ مصطلح المحاورات المستحسنة ومثاله ، فقال عنه: إن من آلة الكاتب وأداته أن يضيف إلى الإحسان في المكاتبة مثل ذلك في المحاورة والمخاطبة حتى تكون ألفاظه مهذبة وإشاراته مستعذبة والنفوس نحوه إذا نطق منصتة، ونقل مثال ابن منقذ نفسه، وهو أن سعيد بن مرة دخل على معاوية فقال له: أنت سعيد بن مرة ؟ فقال: أنا ابن مرة وأنت السعيد فوصله لحسن جوابه [٥] .

---

(١) ينظر: ينظر: قانون البلاغة: ٣٣، وينظر: البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٩٨٥م: ١٣٦/١. قانون البلاغة : ٥٥.

(٢) ينظر : قانون البلاغة : ٥٥، وينظر : البيان والتبيين : ٩٣/١.

(٣) ينظر : قانون البلاغة : ٧٥، وينظر : البيان والتبيين : ٧٥/١، ٧٦، ٧٩.

(٤) ينظر : قانون البلاغة : ٣٥، وينظر : سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي ، تحقيق : عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة ، ١٩٥٣م : ٢٢٥.

(٥) ينظر : قانون البلاغة : ٥٢، وينظر : البديع في نقد الشعر : ٢٨٥.

وهكذا نجد أن البغدادي لا يشير إلى مصدر المعلومة لأنه يريد أن يقدم للقارئ أو المتعلم خلاصة للكتب السابقة، فهو غير معني بالضرورة بذكر مصدر المعلومة النقدية أو الشاهد والدليل على رأيه في الكثير من المسائل .

الشعراء في كتاب قانون البلاغة :

اعتمد البغدادي في كتابه فيما اعتمد على الشعر شاهداً، وسنقوم في هذا المبحث بذكر أسماء الشعراء الذين وردوا في كتابه مع عدد مرات ورودهم، وسنذكرهم منسوقين بحسب ورودهم في كتابه، وهم: سويد بن كراع ، حارثة بن بدر، عدي بن الرقاع، عمرو بن هند، زهير بن أبي سلمى (١١مرة)، جرير (٨ مرات)، طفيل، دعبل، البحتري (١٢مرة)، أبو تمام (٥مرات)، أمريء القيس (١٨مرة) الأعشى، القطامي، الشنفرى، رؤبة، بشار بن برد(٤مرات)، ابن مقبل لبيد، يزيد ابن الطثرية(مرتين) أبي حية، النابغة الجعدي (٤مرات)، تأبط شراً، أبي داؤد، الخضري، قيس بن الخطيم، شعبة بن الحجاج، النمر بن تولب العكلي، أبو نواس، العرجي، جنوب أخت عمرو، ذو الرمة (مرتين)، عامر بن الطفيل، نصيب ، طريح بن اسماعيل، عمرو بن معد يكرب، نافع بن خليفة، كعب بن سعد الغنوي ، كثير (مرتين)، الخنساء (مرتين)، السموأل، الشماخ، حسان بن ثابت (٣مرات)، عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، أبو الشمقمق، حاتم، عبيد بن الأبرص (مرتان)، النابغة الذبياني (٤)، الأخطل (مرتين)، مسلم بن الوليد، محمد بن وهيب ، علي بن جبلة العكوك، الفرزدق (٣مرات)، مروان بن أبي حفصة، إبراهيم بن العباس، الأعشى، عبد بن الحسحاس، عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، الاخيطل الاهوازي، الأشتر النخعي، أبو علي البصير، الحطيئة (مرتين)، طرفة بن العبد(٣مرات)، عنترة، كعب بن زهير (مرتين)، حميد بن ثور، عدي بن الرقاع،

أوس بن حجر، عبد الله بن الزبير الأسدي الصلتان العبدي، الحارث بن وعلة، أبو ذؤاب بن ربيعة الأسدي .

إن الناظر في أسماء أولئك الشعراء بوصفهم مرجعية من مرجعيات البغدادي في بيان المصطلح البلاغي والنقدي يجد أن المؤلف لم يعتمد عصراً دون عصر أو طبقة دون أخرى، بل كان يأتي بالشاهد الشعري متى ما استحسنه نقدياً وبلاغياً، ويبدو أن الدافع وراء انتهاج البغدادي هذا السبيل كونه باحثاً عن ما يؤيد حكمه، أو نقده الانطباعي، وربما بحسب ما تسعفه الذاكرة .

وقبل أن نختم بحثنا لابد لنا من أن نقول أن لغة البغدادي في كتابه قانون البلاغة في نقد النثر والشعر كانت لغة بسيطة وسهلة وواضحة مسترسلة، وقد اختار الكاتب المفردات والتراكيب السليمة، ولم يكبل كتاباته بقيود السجع ومحسنات البديع، وقدم لنا الكتاب بلغة سلسة متواضعة فعبر عن ما أراد إيصاله إلى القارئ بكل بساطة وجزالة .

الخاتمة:

بعد هذه الجولة الموجزة في كتاب قانون البلاغة في نقد النثر والشعر للشاعر الأديب أبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي المتوفى سنة (٥١٧) هـ، يمكننا الإشارة إلى أهم ما توصلنا إليه من نتائج :

* ضم كتاب قانون البلاغة علوماً وفنوناً متنوعة اتبع في عرضها منهجاً متشعب السمات، إذ اتسم الكتاب بمنهجية علمية ومادة معرفية متنوعة .

* كان البغدادي أديباً ناقداً صاحب نظرة ودراية متمكنة، وقد توصل البحث إلى أن هناك نقاط اتفاق بينه وبين النقاد السابقين له، ولاسيما في الموضوعية .

*حرص البغدادي في كتابه على إملائه بلغة سليمة وبأسلوب مرسل يهتم بالوضوح والإيجاز تفادياً للإطالة مع حصول الغرض .

* تميز كتاب قانون البلاغة بكثرة الشواهد النثرية والشواهد الشعرية، وقد لوحظ على الكاتب اشتراكه في طائفة من الاستعمالات والاستشهادات .

* اشتملت الشواهد الشعرية لهذا الكتاب على نماذج تراوحت في الموضع الواحد بين الشطر الواحد، والخمسة أشطر .

* تكمن قيمة عمل البغدادي في جمعه لأقوال النقاد والبلاغيين وعرضها للقاريْ .
* كان منهج البغدادي في كتابه قائماً على الانتقاء والاختيار .
* كانت رغبة المؤلف الإيجاز تفادياً للإطالة مع حصول الغرض .
* من شرح موجز لبعض المسائل، ومن الترجمة لبعض الأعلام لم يخل الكتاب .
* تفاوتت عناية البغدادي بالمصطلحات، إذ تناول منها بالشرح والتفصيل تارة ، ومن هذه المصطلحات على سبيل التمثيل (الطباق)، وبالإيجاز والإجمال تارة أخرى ومن هذه المصطلحات على سبيل التمثيل (التصحيف) .

*رجع البغدادي إلى المصادر البلاغية والنقدية فاستقى منها مصطلحاته، وقد تنوعت طريقة نقله، فهو إما أن ينقل رأي البلاغيين بذكر اسم البلاغي كما في مصطلح (البلاغة)، أو انه يذكر عنوان الكتاب الذي استقى منه مادته، كما في مصطلح (الشعر).
*بلغ عدد شعرائه الذين انتخب شعراً لهم (٧٢) شاعراً، وبلغ عدد الأبيات التي اختارها (٢٠٧)، في حين بلغت النصوص النثرية المختارة (١٣٠) .

The Rhetoric Law in Criticizing Prose and Poetry by Abu Taher Al –Baghdadi A Study in the Approach and content " "

Lect .D.r Ahmed Yahya Ali*

ABSTRACT

This book is a critical study of the Arabic styles and its rhetorical arts in the prose and poetry The book consists of two parts .Parts one deals with the prose rhetoric and the author divided this part into thirty three terms. Part two studies poetry criticism and its rhetoric which is also divided into terms form comprising forty four eloquent words. Al-Baghdadi supported his study by giving poetic and prosaic examples to reinforce his speech and reveals his intention .The author proved his ideas throughout using these examples to support his points of view without preferring one to another